بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم الأستاذ كامل الشريف

وزير الاوقاف والشئون الاسلامية

بالمملكة الاردنية الهاشمية ـ سابقا

فى هذا الكتاب « الملل المعاصرة فى الدين اليهودى » يبذل الشهيد الدكتور اسماعيل الفاروقى جهدا واضحا لتحديد التيارات القائمة فى الدين اليهودى ، والقاء ضوء على نشأتها منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، وعلى التطورات التى لحقت بها مع تقلبات التاريخ المضطرب لهـذا الشعب ، وهو اذ يفعل ذلك نراه لا يبعد النظر عن أخطر هذه التيارات وأولاها بالدراسة وهى الفكرة الصهيونية العنصرية التى بدأت جراثيمها مع ميلاد الدين اليهودى نفسه ، ثم تطورت حين فرضت على اليهود مناخ الاعتزال عن الشعوب التى استضافتهـم ، ومـا أدت اليـه روح التكبر والاستعلاء من اضطهادهم والتنكيل بهم بعد ذلك ، حتى أصبحت المشكلة اليهودية ولا تزال أحد أبرز مشاكل الانسانية على مر الدهور .

لقد حاول المؤلف أن يجيب على الأسئلة الكبيرة التى حـيرت المفكرين منذ القدم وهى التى تدور حول خصائص الشعب اليهودى التى جلبت عليه النقمة والكراهية وجعلته سببا فى اثارة الفتن والكوارث فى العالم كله ، ثم ما اذا كان من الممكن أن يصبح هذا الشعب وادعا مسالما كغيره من شعوب الأرض ؟

ولقد وضع الكاتب أصبعه على مصدر الخلل الأول فى المسيرة اليهودية حين شاءت الظروف التعسة أن تتغلب النزعة القبلية العنصرية على التراث الروحى فى ملة ابراهيم عليه السلام ، وأن ينجح بعض الدجالين وأدعياء النبوة فى تحريف الوعد ليصبح « فرمانا » بتمليك أرض معينة لها تخوم وحدود ، ويسكنها أقوام آخرون استقروا عليها قبل الوعد بالآف السنين ، واستمروا فيها بعد الوعد حتى جاءت الصهيونية تقتلعهم منها اقتلاعا بنفوذ المؤامرة وقوة السلاح .

لقد أثر هذا التحريف تأثيرا بعيد المدى فى نفسية الشعب اليهودى فراجت بين أفراده خرافة « الشعب المختار » الذى اختصه الله بميزات جسدية وعقلية لا تتوافر للآخرين ، وقد انعكس هذا المفهوم الخاطىء على تصرفت اليهود ازاء مواطنيهم ، فبادلوهم نظرة الخوف والاحتقار ، وقد أدت هذه الكراهية المتبادلة التى جلبها اليهود على أنفسهم لحملات من الاضطهاد عبر التاريخ ، وتكونت حلقة مفرغة ، لا يزال اليهود يعيشون فيها حتى اليوم ، فالجاليات اليهودية التى استقرت مئات السنين فى بعض الأقطار لا يزال ينظر اليها كجماعة دخيلة ينصرف ولاؤها لدولة أجنبية هى اسرائيل ، وهذه الدولة تتجسد فيها خصائص اليهود من الطمع والأثره والغرور ، فتعزل نفسها وتفرض على منطقة الشرق الأوسط حالة من التوتر الدائم والحروب المستمرة . أما تجسيد ملكوت الله السماوى فى وطن أرضى فقد أسهم هو أيضا فى عزل اليهود عن الشعوب التى جاوروها ، ذلك لأنهم بقوا ينتظرون العودة لتلك الأرض ، فلم يستقروا فى بلد معين ، وبقى ولاؤهم مزعزعا مضطربا ، وقد أدى هذا القلق الى توجيههم نحو الاستغلال ، وكسب المال بطرق مشروعة وغير مشروعة ، والاشتغال بأحط الأعمال التى تضمن الربح السريع كالتجسس والتهريب والفساد ، مما ضاعف النقمة عليهم ، وأدى لمعاملتهم كفئة مخربة لا تضمر الا الحقد على الأوطان التى تمنحها الاستقرار .

ولقد جرت محاولات عديدة لاستيعاب اليهود فى المجتمعات الانسانية ، وصدرت تشريعات تضمن لهم المساواة الكاملة فى الحقوق

والواجبات بهدف ادخال الطمأنينة الى نفوسهم وتشجيعهم على الاستقرار ، الا أن كل هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح حين اصطدمت بالنزعة العنصرية الاستعلائية ، ووضح لدى الساسة الذين تبنوا هذه الاصلاحات أن أى تراخ مع اليهود انما يفسح لهم المجال لمضاعفة أعمال التخريب والافساد ، ومن هنا نبتت فكرة العنف ضد اليهود التى بلغت ذروتها فيما عرف بالـ (Pogrom) فى روسيا القيصرية ، أو « الحل النهائى » على يد النازيين

على أن بحث الدكتور الفاروقى رغم هجومه المرير على الصهيونية قد اتسم بالانصاف والأمانة العلمية ، فلم يترك لعاطفته العنان بالرغم مما ارتكبته الحركة العدوانية فى حق شعبه ووطنه ، فنجده يميز بين الفكرة العنصرية وبين التيارات اليهودية التى بقيت موالية للتراث الروحى اليهودى ، والتى أطلق عليها « الحنيفية » فى مقابل العنصرية ، وهى تيارات رفضت التفسير القبلى أو الجغرافى للوعد الابراهيمى ، وحاولت أن تجعل اليهودية دينا كسائر الأديان ، ينظم علاقة الانسان بربه ، ويشجعه على اضمار الخير للناس كافة ، ولو نجح هذا التيار منذ البداية لربما استقر اليهود فى أوطانهم المختلفة وتعايشوا مع غيرهم ، ووفروا على أنفسهم وعلى الانسانية كثيرا من البلايا والنكبات .

ومع الاعتراف بأن تيار الحنيفية قد انحسر وضعف تأثيره تحت وهج الدعاية الصهيونية الا أن المؤلف لا يزال يرى فيه تيار المستقبل بعد أن تفشل التجربة الصهيونية – وهى لا بد أن تفشل – ويجد اليهود أن الخيار الوحيد المأمون أمامهم هو التخلى عن العنصرية والعودة للأصل الروحى فى تراث الخليل ابراهيم .

واذا كانت العودة للأصل الروحى الابراهيمى هى سفينة النجاة لليهود وللأمم التى ابتليت بشرورهم ، فان التطبيق العملى لهذه الفكرة موجود فى الاسلام آخر الأديان الابراهيمية ، ولذلك نرى المؤلف يناقش موقف الاسلام المبدئى من اليهودية .

فهو يعترف بها كدين سماوى ، ويمجد التوراة ككتاب تقوم أصوله

على الوحى بالرغم مما لحقه من تحريف يعترف علماء اليهود أنفسهم بوقوعه خلال فترات السبى البابلى ، ونجد القرآن الكريم يدافع عن أنبياء بنى اسرائيل ويجعل الدولة الاسلامية مسئولة عن حماية شريعة التوراة والزام اليهود بها الزاما كما يشير اليه قوله تعالى : « **انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء** » (١) ، ويشير المؤلف ـ بعد ذلك ـ الى عهد المدينة الذى أبرمه الرسول ﷺ مع سكانها من اليهود لينتهى الى أن هذا العهد يؤكد العلاقات الانسانية الودية بين المسلمين والحنيفيين من اليهود ، ولا يزال صالحا للتطبيق اذا اندحرت الصهيونية وزال تيار العنصرية القبلية الذى يتحكم فى مصير الشعب اليهودى .

غير أن من الواضح لديه أن هذه العواطف الانسانية النبيلة التى تصلح لبناء المستقبل لا وجود لها فى دنيا الواقع ، حيث يسيطر قادة الصهيونية على مصير الشعب اليهودى ويحشرونه حشرا فى مجابهة محتومة ، ويقامرون عليه فى مغامرة مجنونة تهدف الى تدمير العالم الاسلامى والقضاء عليه ، ـ واذن ـ فلا محل أمام هذا الوضع للتخدير والتسويف ولا بد أن يفيق العالم الاسلامى على هذا الواقع وأن يتأهب لملاقاته بكل ما يملكه من عناصر العزم والتصميم ، حتى يهزم قوى الشر والبغى .

وحينذاك فقط يصبح المجال مهيأ لسيادة العقل والضمير ، وهيمنة المبادىء الانسانية الرفيعة على مصائر الشعوب .

غرة رجب سنة ١٤٠٨ هـ

١٩ فبراير سنة ١٩٨٨ م

كامل الشريف

***

---

(١) المائدة : ٤٤